إشكالية تأصيل المنهج الإسلامي في النقد الأدبي المعاصر

الطالب أحمد خضرة
المشرفة : أ.د أمال لواتي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة
khedourah1999@gmail.com

تاريخ الوصول : 2018/10/17/ القبول:2018/12/12 /النشر على الخط:.....
Received :.....l Accepted :.....l Published online :.....

الملخص

لقد أفرز العصر الحديث إشكالية التعددية المنهجية , , وهو ما طرح قضية المنهج في الدراسات النقدية المعاصرة ,فتمخض عن ذلك سؤال المنهج وإشكالية المنهج , ومنه بدأ الحديث في الساحة النقدية العربية عن البديل النقدي الذي يؤطر الخصوصية الحضارية العربية الإسلامية في ظل الشرخ العربي الفكري والإسهال الحاد الذي يكابده النقد العربي المعاصر , وهو ما نراه في المنهج الإسلامي الذي يتأسس بمنظومة معرفية إسلامية لها مرجعية ثابتة ,والمنهج النقدي الإسلامي " هو الذي نطرحه كبديل- في المعترك النقدي المعاصر- للمناهج الغربية المظللة والتجزيئية وذو المرجعيات الفلسفية التي تتناقض مع الفكر الإسلامي والبحث يعرض أهم أسس المنهج الإسلامي في النقد الادبي المعاصر عند النقاد الرواد الأوائل الذين أسسوا لهذا المنهج أمثال : سيد قطب , عماد الدين خليل ونجيب الكيلاني وغيرهم .

The summary

The literary and critical idea emerged from the Islamic perspective appeared in the modern era, and it has been developed by the efforts of writers as well as critics who suggested an alternative Islamic project as a way to stand against the western curriculum, among them was the prominent Iraqi critic Imad Eddine Khalil.The research in hand attempts to present a clear view of the contemporary Islamic critical discourse, and studying the critical experiment of the critic by reviewing his writings in its theoretical side in which the critic deals with the Islamic view and criticism as well as the references of the discourse, the critical issues, and the practical side which depicts the literary areas

included in his practical criticism by criticizing the poem, story ,novel as well as the theater.

تمهيد:

إن ما حققه العصر الحديث من انجازات معرفية عاتية , قد اجتاح سائر العلوم الإنسانية منها وغيرها , وذلك ما اخرج الخطاب النقدي المعاصر من عهد المنهج الواحد إلى عهد جديد وهو عهد التعددية المنهجية , فتصدرت بذلك إشكالية المنهج طليعة الطرح النقدي المعاصر.

ومع غياب الماهية لمفهوم المنهج عند كثير من النقاد اليوم وعدم اعتدادهم بضخامة الإشكالية والإجراء, وخوضهم المطلق في مناهج تفتقر إلى كثير من أساسيات المنهج والإجراء على حد السواء وهو ما نلاحظه في الفوضى التي يتخبط فيها الخطاب النقدي العربي المعاصر , وفي عشوائها يبرز سؤال المنهج وخطاب المنهج .

واقع النقد العربي المعاصر:

في خضم المعطيات المنهجية المعاصرة ,وامتداد الأفكار والمتواليات التجريبية الهجينة , في زحمة الذات والماهية , وفي إشكالية تحقيق الوجود ومنافسة الآخر , في صراع الأصالة والمعاصرة , التراث والحداثة , في خضم ذلك كله يتراءى المشهد النقد المعاصر غامضا ومربكا أو بالأحرى مأ زوما .

((فمع التحولات التاريخية والاجتماعية التي عرفها المجتمع العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين , وجد العرب أنفسهم مباشرة أمام معرفة الآخر الذي خطا خطوات بعيدة جدا في مجال تحليل الإنسان والتاريخ والمجتمع ...وكان على المثقف العربي أن يتفاعل مع هذه المعرفة الغريبة عن محيطه وسياقه الثقافيين))[1] فدخل المثقف العربي في شرخ ثقافي وفكري حاد .

وبهذا الشرخ المنهجي والفكري الذي أدى إلى تداخل المعايير واختلالها في النسق المعرفي السائد في العالم العربي تبدأ أزمة الإبداع والنقد العربي,الذي نمت فيه المفاهيم والمصطلحات بازدواج حضاري مضطرب , فحضر الآخر قويا مؤثرا , وغابت الذات العربية الإسلامية أ و حضرت باهتة مشوهة فاقدة الوضوح في الرؤية وصفاتها لأن ((المسيرة النقدية المعاصرة لم تفسح المجال للاتجاهات النقدية التقليدية من ممارسة نشاطها بعيدا عن التبعية والتسليم لآراء الآخر , وقد قاد هذا إلى تحقيق ثنائية الدونية والفوقية في الساحة النقدية العالمية))[2]

إن ذلك كله أوصل المثقفين والطلاب العرب اليوم إلى استعارة المناهج الغربية واعتماد تطبيقها على أدبنا العربي قديمة وحديثه , بل أحيانا محاكمته استنادا إلى تلك المناهج الدخيلة وان تراث الأمة الإسلامية خال من أي شيء يسمى منهجا .

---

[1] سعيد يقطين وفيصل دارج :آفاق نقد عربي معاصر , دار الفكر , دمشق ,ط1, 2003، ص19 -20.

[2] محمد سالم سعدا لله : أطياف النص , دراسات في النقد الإسلامي المعاصر , سلسلة النقد المعرفي (2)عالم الكتب الحديث , عمان , ط1 , 2007 , ص21

إشكالية البديل النقدي :

إذن وانطلاقا من هذا الإبعاد المتعمد وجوابا لإشكالية المنهج يجعلنا نطرح إشكالية أو قضية البديل النقدي , وهو ما نراه في المنهج الإسلامي في النقد , هذا المشروع الذي يريد أن يفرض نفسه في المعترك النقدي لأنه على مستوى النقد العربي نقول ب " لا منهج " أي ليس لدينا منهج محدد , فالنقاد العرب كما يقول مرتاض كالبدو الرحل لا يستقرون على منهج معين , فهم دائما يغيرون المناهج , مررنا بمرحلة التفاعل والانبهار , فأصبحنا نبحث عن الخصوصية الحضارية من خلال هوية المصطلح – غربة المصطلح – فوضى التجربة فتساءلنا عن الحداثة والتراث وعن الهوية والانتماء , ومنه بدأنا الحديث عن منهج عربي إسلامي يتأسس من منظومة معرفية إسلامية, فنقول إن هناك دعوة لنقد إسلامي , لأننا بحاجة وبصراحة إلى سياسة الفرز الحضاري كما يقول عماد الدين خليل , والغاية هي أن نسهم في التأصيل لمنهج بديل يعكس شخصية المسلم , هو المنهج الإسلامي في النقد الأدبي لنطرح جملة من التساؤلات :

ما مرجعيات أو أسس هذا المنهج من أجل التأسيس ؟ ما ضرورة هذا المنهج ؟ما المقاييس النقدية التي تنظم المنهج الإسلامي وتمثل البطانة المحورية بالنسبة للعملية النقدية ؟ كيف يمكن عرض منهج النقد الإسلامي كما رسم معالمه النقاد الإسلاميون ؟ ما موقفه من المناهج النقدية الغربية المعاصرة ؟ ما المفاهيم والقضايا النقدية الأساسية التي عالجها هذا الخطاب النقدي الإسلامي ؟ وما إشكالية هذا البديل النقدي ؟وما منهجيته في التعامل مع الخطاب الأدبي ؟

تلك هي بعض المساءلات النقدية والتي سنحاول ان نناقشها في هذا البحث .

الحاجة إلى منهج إسلامي :

إن النقد الأدبي بوصفه أداة من أدوات الفكر , لا بد أن يعكس طبيعة ذلك الفكر عن طريق المبادئ والمفاهيم والآليات الذهنية التي توظف في الممارسة النقدية لكي يصبح في تلك الحالة أن يوصف بأنه نقد أصيل ((فلا قيمة لأي منتج فكري لا يعكس واقعه الثقافي ويتصف بخصوصية مجتمعه المميزة , ووضوح المنهج النقدي يمكن أن يعد من أهم خصوصيات العملية النقدية وشرطا أساسيا في وصف النقد الأدبي بأنه نقد مبدع أصيل))[1] لذلك فان أهم تجليات أزمة النقد العربي تتمثل في الخلل المنهجي الذي يتجلى واضحا في الممارسة النقدية ((التي تستند على تصورات نقدية دخيلة ما أدى إلى ما يشبه القطيعة المعرفية بين المتلقي وتلك الممارسات النقدية , والى فوضى منهجية امتدت إلى القول بالتعددية المفرطة للمناهج))[2].

[1] علي حسين يوسف :النقد العربي المعاصر: دراسة في المنهج والإجراء , عمان, الدار المنهجية, ط1, 2015 , ص9 .

[2] نفس المرجع ص 10.

لذلك نرى بضرورة وجود منهج عربي أصيل يعكس واقع الفكر العربي بكل تجلياته النفسية والخصوصية والذي يتمثل في المنهج الإسلامي , لان غياب المنهج يعني غياب آليات التحليل وأدواته ومصطلحاته , وبالتالي غياب الفرادة والخصوصية الأدبية والنقدية .

لهذا العديد من الباحثين الإسلاميين رسم معالم المنهج الإسلامي في النقد الأدبي , نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

سيد قطب , عماد الدين خليل و نجيب الكيلاني , عبد الباسط بدر محمد سالم المعوش وغيرهم ....وذلك انطلاقا من الرؤية الإسلامية الشاملة للكون والإنسان والحياة .

والمنهج – أي منهج – هو ((جملة الطرق والأساليب التي يتوصل بها إلى نتائج معينة))[1] أي هو الأدوات المعرفية في تحليل الظاهرة المدروسة , وهذه الأدوات هي المفاهيم والمصطلحات التي يستخدمها الناقد للوصول إلى نتائج معينة بعد تحليل الظاهرة الفنية المدروسة .

وكما أن منهج البحث في الإسلام , لا بد أن يرتكز على أساس ترابط عضوي بين الدين والدنيا والحياة والآخرة , فالحياة وسيلة لا غاية , وإذا صلحت الوسيلة صحت الغاية , قال تعالى : ((وابتغ فيما أتاك الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)) [2].

وأن هذا المنهج يقوم على التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان , وفي هذا المجال يتحرك ليفتح المجال للدراسة والتقرير والشرح والمعارضة والنقد , لذلك فلا غرو لمنهج بديل عن المناهج الوافدة من الغرب يعكس شخصية المسلم وإسلامه , والذي يتمثل في المنهج الإسلامي في النقد والذي تطلبته دواع كثيرة منها :

- الوعي بعدم ملاءمة كثير من المناهج الغربية في التعامل مع التجربة الإسلامية المعاصرة في الإبداع الأدبي ((لان الملاحظ على النقد العربي المعاصر , يجد انه يفتقد إلى الهوية التي تحدد ملامحه , إذ أن تلك النصوص النقدية وفي اغلبها – وان كتبت بلغة عربية – إلا أنها أظهرت بوضوح بعد المسافة بينها وبين الواقع الثقافي والذوقي للفرد العربي)) [3].

- ضرورة التمييز بين الإسلامي والدخيل في مختلف مجالات الحياة ((لان للأدب والفن الإسلاميين منهج محدد يلتزمه في كل مجالاته)) [4].

---

[1] طه عبد الرحمان : تجديد المنهج في تقويم التراث , المركز الثقافي العربي , المغرب , ط2 , د ت , ص10 .

[2] سورة القصص: الآية 77.

[3] علي حسين يوسف: مرجع سابق,ص10.

[4] سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج, دار الشرق, بيروت ,ط6 ,1983,ص21.

وننبه إلى إن الجهود الواعية والمنظمة لكل من : سيد قطب ونجيب الكيلاني وعماد الدين خليل ومن سار على نهجهم رائدة في مجال الأدب الإسلامي تنظيرا وتطبيقا بهدف رسم مواصفات المنهج الإسلامي في النقد الأدبي .

ومن هنا تكتسب عند هؤلاء النقاد الإسلاميين الدعوة الملحة إلى تبني منهج إسلامي للنقد الأدبي , ومحاولة رصد خيوطه في النظر إلى الفنون والآداب .

ورغم صعوبة تحقيق ذلك لبعد مناهجنا الدراسية عن إدراك نماذج من الأدب الإسلامي الدسمة في الفن والأخلاق والتشريع ضمن مقرراتها , ولتغلغل المناهج الأجنبية في أذهان الكاتبين وتكريس الإعلام الأجنبي ذلك التغلغل وإبراز جاذبيته , فإننا نؤمن بالتحدي لأنفسنا وخلق منهج إسلامي يعبر عن خصوصيتنا , وان نثق بما يقدمه الإسلام من رؤية جديدة للحياة تستثمر في مجالات الأدب والفن والنقد وغيرها .

أسس المنهج الإسلامي وآليات تأصيله عند الرواد :

إن منهج النقد الإسلامي هو جزء من المنهج الإسلامي العام الذي يقوم على التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان , وهو يتميز بخصوصيات تقتضيها طبيعة المجال الذي ينشط فيه وهو النص الأدبي, ويقوم المنهج الإسلامي في الأدب عند سيد قطب على عدة قواعد وأسس نلخصها فيما يلي :

1 – يعد الأدب تعبيرا موحيا عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان وتنبثق من تصور معين للحياة والارتباطات فيها بين الإنسان والكون وبين الإنسان وأخيه الإنسان .

2 – قيم الفن ترتبط ببعضها , ومن العبث أن نحاول تجريد الأدب من القيم التي يحاول التعبير عنها .

3 – القيم الأدبية بصورة مجملة الشعورية منها والتعبيرية ترتبط بالتصور , ولذا فمن العبث أيضا فصل القيم عن التصور الكلي للحياة , فكل خاص للحياة وللارتباطات فيها بين الإنسان والكون من شانه أن ينشئ قيما تتأثر بها الآداب والفنون .

4 – من أبرز ملامح هذا المنهج الواقعية العملية حتى في مجال التأملات والأشواق فهو لا يعبأ بالمثالي الذي لا وجود له في علم الغيب أو عالم الشهادة على حد السواء .

5 –مهمة الأدب الرئيسية هي تغيير الواقع وتحسينه والإيحاء بالحركة والتجديد .

6 – الأدب الإسلامي يتعامل معه النقد في منهج سيد قطب على انه فن موجه بطبيعة التصور الإسلامي , وموجه بطبيعة الفكرة الإسلامية وهي طبيعة حركية دافعة للإنشاء والإبداع والترقي والارتفاع .

7 –هذا المنهج يعارض بعض التصورات والقيم التي تعبر عنها الفنون المنحرفة ويقيم مكانها تصورات وقيما أخرى قادرة على الإيحاء بتصورات جمالية إبداعية وعلى إبداع صور فنية أكثر جمالا وطلاقة تنبثق انبثاقا ذاتيا من طبيعة التصور الإسلامي وتتكيف بخصائصه المميزة)) [1]

إذن تلكم هي أهم خصائص منهج النقد الإسلامي كما يراها سيد قطب فهو يتعامل مع النص الأدبي من حيث هو مضمون جميل يعرض في صيغة جميلة , وينظر إلى القيم الفنية والشعورية على أنها تتأثر بالتصور الإسلامي للكون والحياة , كما ينظر إلى الأدب على انه يحمل رسالة , ومن ثم لزم أن ينتقد ما يرد في النصوص الأدبية من تصورات مخالفة للتصور الإسلامي انتقادا شاملا ينطلق من الجذور الفلسفية ليصل إلى صور التعبير لأنها ترتبط بتلك الجذور وتأخذ منها .

وبهذا يلتقي سيد قطب مع عماد الدين خليل حين يقول : ((النقد الإسلامي نقد معياري ولكنه يعطي مساحة للذات , فهو إذن نقد شمولي متوازن شانه في دلك شان سائر الفعاليات التي تتحرك في إطار الإسلام لأنها تستمد من رؤيته الشاملة والمتوازنة مقوماتها وملامحها , أن هذه الرؤية ترفض أشد الرفض تلك الخطيئة المنهجية التي مارسها الغربيون كثيرا واستمرؤوها طويلا : النظرة أحادية الجانب , التشبث بوجهة النظر المحدودة رغم أنها تصدر عن زاوية ضيقة بينما هناك لاذا أردنا الاقتراب من الحقيقة عشرات الزوايا الأخرى لالتقاط صورة اقرب إلى الواقع)) [2], لذلك يرى عماد الدين خليل إن على المنهج النقدي الإسلامي أن يحرص على عدة سمات :

أولا:الشمول

: المرجعية (إسلامية) مستمدة من القرآن والسنة النبوية المطهرة والتراث العربي الأصيل والالتزام, والتفتح, وتجاوز الجزئيات الشكلية إلى المضمون, والربط بين النص وصاحبه .

فالمنهج الإسلامي في النقد كالمنهج الإسلامي في التفكير, يتسم بالشمول وينفر من التجزيئية , يجمع بين الذات والموضوعية , يتناول النص وهو مطمئن بان علاقته مع المبدع والوسط علاقة وطيدة وان للعقيدة صفة الهيمنة على مكونات النص الفني الشعورية والتعبيرية ومن هنا نجد عماد الدين خليل يقول : ((إن النقد الفني والأدبي في حقيقته فكر وعلم وذوق وإحساس ورؤية ومعرفة ومشاركة وتأمل واندماج , وعبث أن ننفي عن النقد صفة واحدة من صفاته هذه وان نهدم لبنة من لبناته تلك ...النقد هو مزيج معقد من صرامة الأرقام وهيام الروح العاشقة وتشبثها بالمحبوب , النقد هو موازنة فذة بين الذات والموضوع))[3].

---

[1] نفس المرجع , ص21 – 22 , بتصرف .

[2] عماد الدين خليل : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط1 , 1407 هـ , ص189 .

[3] نفس المرجع ,ص202 .

ثانيا:المرجعية الدينية :

والى جانب صفة الشمول هذه التي يتسم بها منهج النقد الإسلامي ويعدها قاعدة من قواعده , هناك صفة ثانية هي المرجعية الدينية والمتمثلة في القرآن الكريم , فالناقد مثل الأديب المسلم ليس له صدود عن هذه المرجعية الثابتة , وهذه السمة ليست جديدة في النقد الإسلامي , فقد انطلق عبد القاهر الجرجاني ومن قبله القاضي الجرجاني والباقلاني والرماني والخطابي من القرآن ليصوغوا قواعد البلاغة التي كانت المقياس الرئيسي في مجال النقد الأدبي , وهذا ما يقصده عماد الدين خليل بقوله : ((لقد فتح القرآن مدرسته الكبيرة لتخريج الناقدين , وكان آباؤنا وأجدادنا أبناء عصرهم وبيئتهم وحضارتهم , لكن القرآن الكريم نفسه لم يكن ولن يكون وليد عصر أو بيئة أو حضارة , انه كلام الله الخالد ومدرسته الفذة التي لن تسد أبوابها – أبد ا- على توالي العصور والأزمان))[1].

ثالثا :الالتزام :

أما السمة الثالثة فهي الالتزام : فالناقد المسلم ملتزم بالإسلام وبالكلمة الطيبة وبالعقيدة بما فيها من قضايا الكون والحياة والإنسان والتزام بجمالية الفن التعبيري الناصح والأصيل .

فالالتزام هو الشعور بالمسؤولية , وهذا الشعور ((يزيدك إحساسا بالحرية ويعمق في ذاتك أسرارها ويجعلها تسري في أعماق الوجدان , ولكنه في الوقت ذاته يجعلك رقيبا على حديثك)) [2] وهو بهذا المفهوم نقيض الحرية بقدر ما هو ((شيء منظم لها , وصمام أمن يحرس انحرافاتها ويبرز لها معالم الطريق)) [3] وهكذا يجيء الالتزام عجيبا فذا لم تشهده مناهج النقد الأخرى ومدارسه التي دعت إلى الالتزام لأنها سلكت أسلوب التكلف والثنائية والوعظ لا لشيء, لأنها لم تطرح التصور الذي ينسجم وفطرة الكون والإنسان))[4].

رابعا :الانفتاح :

أما السمة الرابعة عنده فهي : التفتح على التقنيات العلمية المساعدة أو الموصلة على مستويي المنهج والموضوع , وخاصة علم الاجتماع والنفس والتاريخ والفلسفة , وعلى هذا الأساس فان عماد الدين خليل يرى أنه ((يمكن للناقد المسلم أن يفيد إلى حد ما من النظريات والوجهات العديدة لتفسير النص الأدبي بالمؤثرات البيئية حينا وبالدوافع النفسية حينا آخر وبالتركيب الاجتماعي حينا ثالثا , وبالعوامل الجمالية الصرفة حينا رابعا

[1] نفس المرجع , ص 206 .

[2] حسن الامراني : نحو ثقافة بانية , الخصائص , العدد(5 , 6) السنة 1989 , م :10.

[3] نجيب الكيلاني :الإسلامية والمذاهب الأدبية , مؤسسة الرسالة , ط2 , 1981, لبنان ,ص 93.

[4] عماد الدين خليل :في النقد الإسلامي المعاصر, مؤسسة الرسالة , ط3 , بيروت , 2005, ص191 .

...لكنه يتوجب أن يظل طول الخط ممسكا بالعصا من وسطها , محاذرا تجاوز نظرته الشمولية وموقفه الوسطي , ساعيا إلى الابتعاد عن مظنة الرؤية الأحادية الجانب محاولا أن يلم بشتات التفاسير جميعا من أجل التحقق برؤية أكثر عمقا وشمولا للنص الذي بين يديه)) [1].

خامسا :الشكل والمضمون

:وأما الصفة الخامسة : فهي تجاوز الجزئيات الشكلية إلى جمال المضمون , ولكن هل يعني ذلك إهمال الجماليات الشكلية من أجل المضامين ؟ أم يعني استخدام الشكل من أجل إدراك الحقيقة ؟

الأمر ليس كذلك , فهو يقول : ((لا ريب انه يتوجب عليه أي الناقد المسلم , تسليط رؤيته النقدية على جماليات الشكل كالأسلوب والتكوين والتناسب الهندسي والتناسق الشكلي وتوزيع الصيغ اللغوية المعتمدة , ورغم الارتباط المعروف بين الشكل والمعنى , فان على الناقد المسلم إلا يقف عند حدود الشكل ويطيل الوقوف , بل إن عليه إن يمضي إلى المضامين إلى ما يستثيره العمل الأدبي في وجدان الإنسان وفكره من معان وتفاسير للقضايا التي تجابه الإنسان إزاء الكون والعالم)) [2].

وبهذا يتبين إن عماد الدين خليل لا يهمل الشكل , ولكنه لا يجعله الأساس كما فعلت مدرسة الفن للفن , التي ينتقدها بشدة , ولكنه ينظر إليه على انه وسيلة وليس غاية .

وبناء على ذلك يرى عماد الين خليل أنّ ((الناقد المسلم قد تجاوز حدود الجماليات الشكلية إلى مرحلة البحث عن الحق)) [3].

والصفة السادسة : هي الربط بين العمل الفني وصاحبه ((لان فصل العمل عن صاحبه – كما يرى هذا الناقد – سوف يفقد المحاولة النقدية قدرتها الشمولية على فهم العمل وتحليل مقوماته)) [4]

أما عبد الباسط بدر:فان نقطة البداية عنده هي الحديث عن ((تجمع مسوغات منهج نقدي عربي إسلامي يقف في وجه التحديات التي يفرضها الزحف النقدي العقيدي الغربي كالنقد الماركسي والنقد الوجودي , والنقد المتأثر بالنصرانية))[5] فهو يرى ان النقد الإسلامي

[1] عماد الدين خليل : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي , مرجع سابق , ص208 .

[2] نفس المرجع , ص211 .

[3] نفسه, ص21.

[4] نفسه, ص213 .

[5] عبد الباسط بدر(مقال) , نحو منهج نقدي إسلامي , مجلة الأمة عدد 47, 1404 هـ– 1984, ص8.

قديم في تراثنا النقدي , لان نقادنا القدماء صدروا بتلقائية كاملة عن عقيدتهم الإسلامية واهتموا بتطوير العمل الأدبي في ظل البلاغة القرآنية , وما ضعف هذا النقد الا بعد ضعف العقيدة في بعض النفوس التي وجدت من يرد عليها))[1].على إن هذا – كما يرى – لا يعني أن ذلك النقد كان منهجا قائما بنفسه لان ((ثمة فرقا بين نقد متناثر هنا وهناك يصدر عن غيرة إسلامية , وفي مواقف معينة , ونقد ذي منهج محدد ومقنن يصدر في حالات الدفاع والهجوم وينطلق من مقومات إسلامية في مضمونه وشكله))[2], وهذا المنهج كما يرى عبد الباسط بدر اقتضته ظروف مثل كثرة الأدب الذي يصور معاناة المسلمين , والمحاولات الأدبية الناشئة والصادرة عن التصور الإسلامي , ووجود أدب يعادي القيم الإسلامية , وهناك أدب يحاول الرد على افتراءات بعض التغريبيين .

كل هذه مسوغات لقيام منهج نقدي إسلامي , ونعني بالمنهج ((الدخول إلى العملية النقدية وفق خطة مسبقة ومبادئ محددة في أسلوب التقويم وفي المقاييس , ومفهوم الأدب وغايته والقيم الجمالية التي يوافق عليها الإسلام مع مراعاة ما يتطلبه النقد السليم من تلك الفرصة المناسبة للفروق والأذواق الخاصة للنقاد , ودون إخلال بالخطوط العريضة للمنهج النقدي الإسلامي))[3].

وهذا المنهج تتحكم فيه ناحيتان أساسيتان :

1 – أساسيات العقيدة الإسلامية

2- متطلبات العمل الأدبي)) [4].

ومجمل القول نرى أن النقاد الإسلاميين يتفقون جميعا على أن النقد الإسلامي ليس جديدا من حيث هو ملاحظات تنطلق من التصور الإسلامي بتلقائية وعفوية , وإنما الجديد هو الاتجاهات والمناهج النقدية التي وردت علينا من الغرب كالمنهج الماركسي والوجودي و...ويتفقون على أن المنهج يخضع ولا بد لتصور أو فلسفة معينة أو قواعد علمية محددة , وان ((المنهج الإسلامي يستند الى النظرية الربانية في الإنسان والكون والحياة وما يحكمها من علاقات منتظمة هادفة والى المدرسة القرآنية الخالدة))[5], ويتفقون على انه يعنى بالشكل عنايته بالمضمون , وانه يتعامل مع النص على انه مفيد وممتع أي يجمع بين ا لقيمة الأخلاقية و المتعة الفنية ولا يطغى أحدهما عن الآخر , وكما يرى النقاد الإسلاميون أيضا على تأثره بالتصور

[1] عبد الباسط بدر, نفس المرجع,ص9.

[2] نفس المرجع , نفس الصفحة .

[3] نفسه , نفس الصفحة .

[4] نفسه , نفس الصفحة.

[5] علي الغزيوي :(مقال) نحو منهج إسلامي في النقد في صدر الإسلام ,مجلة المشكاة , عدد 5, 6, شوال 1406 هـ , 1986 , ص 29 .

الإسلامي من جهة الشمول , فهو ينقد النص كما لو انه يعز على التجزئة , ومن ثم يواجهونه بأسلحة مختلفة ولكن يصوغونها صياغة تتكامل كأدوات يتم بعضها بعضا , وعليه فان هذا المنهج ينطلق من الكل إلى الجزء لتصبح العلوم الإنسانية او اللغوية او الخلفيات الفكرية أدوات يستعين بها كمنهج متكامل , وقد ذكر عماد الدين خليل أهم السمات التي يتميز بها هذا النقد وهي :

الشمولية – والمرجعية الدينية – والتفتح على العلوم وتقنياتها – وتجاوز الجزئيات الشكلية إلى المضمون , والبط بين الأدب وصاحبه .كما ركز عبد الباسط بدر على أساسيات العقيدة ومتطلبات العمل الأدبي , وهما آمران سبق وان رأينا أن النقاد الإسلاميين جميعا يحرصون كل الحرص عليهما هما العقيدة والفن .

النقد الإسلامي وموقفه من المناهج الغربية :

إن المناهج النقدية – شأنها في ذلك شان المذاهب الأدبية – ترتبط بفلسفات وعقائد وأيديولوجيات , وتمثل وجهات نظر عن الكون والإنسان والحياة واله , وهي وجهات تصدر عن حضارة الآخر وتعبر عنه بطبيعة الحال .

وقد بدأ ارتباط المنهج النقدي بالفلسفة والعقيدة منذ نشأته المبكرة إذ لم تكن آراء أفلاطون النقدية – صاحب أول نقد حقيقي في الغرب القديم -))[1] الاّ انعكاسا لفكرته الفلسفية المثالية, وتصوره لعالم المثل , وعالم الأشياء , ثم مضت المناهج النقدية والمذاهب الأدبية جميعها على هذه الشاكلة من الارتباط الوثيق بينها وبين الفلسفات والعقائد .

يؤكد عماد الدين خليل أنه ((أينما ذهبنا باحثين عن مذاهب الغربيين في الآداب والفنون أو طرائقهم في الفكر والحياة , فإننا لابد أن نعثر على نوع من الثنائية أو التقسيم التعسفي للإنسان والعالم , وكأنه تجربة آبائهم وأجدادهم إزاء الكون والطبيعة والعالم ألزمتهم بعبارة " ما هذا أو ذاك "لأن الإنسان والطبيعة الروح والمادة , الفكر والوجدان , التأمل والصراع ...هي كلها وحدة واحدة تسيرها نواميس واحدة , وتشرف عليها من أقطارها الأربع إرادة الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى))[2], يرى عماد الدين خليل بان الإسلام برؤيته الكونية واستشرافه بعيد الآفاق , ونزوعه الشمولي وتوازن الثنائيات في نسيجه : بين ما هو منظور وغيبي , وطبيعي وميتافيزيقي ومادي وروحي , وثابت ومتغير , ومحدود ومطلق , وفان وخالد ...يشير إلى أن الإنسان يجب أن يسعى من أجل الوحدة والتوافق بين الإنسان والعالم والطبيعة والكون

[1] فيرنون هول : موجز تاريخ النقد الأدبي , ت مصطفى وعبد الرحيم جبر, دار النجاح ,دط , بيروت , 1971 , ص11 .

[2] عماد الدين خليل : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي , مرجع سابق , ص55 .

, الوحدة التي تضم كل الجزئيات والتناقضات الظاهرية والقيم المتعارضة في كيان واحد متماسك , وترفض الذوبان السالب والفناء والتمزق والتبعثر والازدواج والعصيان))[1].

ومن هذه النتيجة بدأ عماد الدين خليل نقده للمناهج النقدية الغربية فهو يرفض المذاهب المادية وعلى رأسها الماركسية التي تقول بانعكاس الموضوع على الذات , كما يرفض المذاهب المثالية التي تقول بانعكاس الذات على الموضوع , فكلاهما تقعان في مظنة الخطأ من حيث أنهما تضعان نفسهما في أسر النظرة الأحادية الجانب تلك هي أزمة الفكر والمنهج الغربيين))[2], فالمنهج الغربي المادي أو المثالي يفرق ولا يجمع , فهو عاجز عن الإدراك الحقيقي لمكونات النص الأدبي الشاملة فيقول عماد الدين خليل : ((الإنسان بحواسه وعقله وطاقاته النفسية والعصبية ونزعاته الوجدانية والعاطفية ليس مرآة صقيلة تعكس ما يأتيها من الخارج بكل بساطة وأمانة انه يتلقى عن العالم عن الموضوع , ما يمكن اعتباره مادة أولية , ولكنه بالإمكانات التي وهبه الله إياها يعيد تركيبها وصياغتها من جديد ويضيف إليهما ما يجعلهما شيئا جديدا))[3], والقرآن الكريم بتأكيده المتزايد على العقل والحواس إنما يمنح العالم الموضوع مساحته الحقيقية ويمنح الذات المساحة نفسها , ثم هناك قوة الروح , تلك المسلمة الدينية التي تمنح العقل والحواس القدرات الفائقة على الفعل والرؤية والتنفيذ , فالمنهج القادر على مواجهة مشكلات الفن هو المنهج الذي لا يهمل الموضوع لحساب الذات ولا الذات لحساب الموضوع .

يتجه المنهج الإسلامي في تفسيره للفن على رأي عماد الدين خليل بالاعتماد على الطاقات الثلاثة الآتية :

العالم : بكل معطياته الموضوعية

الإنسان : بما يتمثله من حواس وعقل وجسد .

الروح : التي تمنح العالم والإنسان الحياة والحركة والوجود .

فهو ينقد المعطيات الأدبية والنقدية الغربية ويقف عند سلبياتها وأخطائها , فهو لا يدعو إلى الانغلاق وعدم الانفتاح على هذه المعطيات بل يلح على ضرورة الاستفادة من الآخر في شتى المعطيات التقنية والشكلية والجمالية , ويرى أن المنهج الإسلامي في الأدب والنقد إذا أراد أن يزداد نموا وتأصلا , فعليه بالانفتاح ومتابعة المعطيات الأدبية والنقدية في العالم كله والأخذ منها , شريطة ألاّ تصطدم بالرؤية الإسلامية والمنهج الإسلامي الذي يرفض المعطيات الغربية في جوانبها السلبية والانفتاح عليها في الجوانب الايجابية .

---

[1] نفس المرجع ص55 -56 .

[2] نفسه ,ص 60 .

[3] المرجع السابق ,ص60 .

نحو منهجية بديل نقدي إسلامي معاصر :

إن النقد الأدبي الإسلامي الذي ندعو إليه لا يعيش في الفراغ , انه مثل مناهج النقد المختلفة , يتناول قضايا الأدب التي تتناولها , ولكن تصوره الخاص عن كل قضية وهو تصور منطلق من العقيدة الإسلامية , وقد يتفق أحيانا مع بعض تصورات المناهج الأخرى وقد يختلف , والنقد الإسلامي يتفق مع اتجاهات شكلية كالبنيوية والأسلوبية والنصية وغيرها في الاهتمام بلغة الأدب وتميزها وخصوصيتها .

وقد يتفق مع التفكيكية ونظرية التلقي وغيرهما في الاهتمام بالمتلقي وفي تقدير دوره وفي تعدد قراءات النص , ولكنه لا يتطابق معها تماما ولا يوافق على كل ما عندها , وهو يعيد ما يأتيه منها إخراجا جديدا يدخلها في إطار التصور الإسلامي , ولكن النقد الإسلامي اليوم مطالب بتقديم فكره النقدي ومحاولة بلورة طروحاته بما يؤهله لقيادة الطرح النقدي المعاصر من خلال تحقيق مجموعة من الخطوات التي حددها الناقد والكاتب محمد سالم سعدا لله و والتي نوجزها فيما يلي :

1 –الانطلاقة المنهجية الأولى يجب إن تكون من تحديد علاقة الانفصام بين الفرد وخالفه , أي تحديد علاقات الأزمة الناشئة بين العبد وربه ومحاولة تنظيم التواصل بين مملكة الأرض ومملكة السماء .

2 –وضع أسس نقدية لبيان الرؤية الإسلامية من ثنائية الدال والمدلول , وإمكان أو عدم إمكان تعدد الدال , واختلاف المدلولات أو تغييبها للوصول إلى مرحلة نهائية الدلالة , وتحديد موقف الناقد من ذلك)) [1]

3 – رسم خصوصية نقدية إسلامية في التعامل مع النص النسوي ووضع فلسفة للأنوثة والاستفادة من الإبداعات النسوية , ومحاولة تصنيف تلك النقود وبيان أهميتها .

4 –إنشاء مدرسة نقدية إسلامية تدين بولائها للمنهج النقدي الإسلامي , وتقدم طروحاتها من الطرح الأكاديمي الذي يتسم بالانحياز الكامل للدقة العلمية الرصينة))[2].

5 – محاولة رفع الوعي النقدي الإسلامي عند النقاد العرب من خلال تحديد اصطلاحي منضبط لمفاهيم الحداثة وما بعد الحداثة ومصطلحات المناهج النقدية الغربية كالبنيوية , وما بعد البنيوية والتأويلية وغيرهما .

[1] محمد سالم سعد الله: أطياف النص , مرجع سابق ,ص29

[2] نفس المرجع , نفس الصفحة

6 – تحديد موقف النقد الإسلامي المعاصر من المقولات النقدية لما بعد الاستعمارية وطروحات الدراسات الثقافية المتنوعة ونقود ممارسات المجتمع ما بعد الصناعي , وتقديم المواقف الإسلامية البديلة .

7 – خلق عناصر قوة نقدية داخل وعي الناقد بضرورة الإيمان بمستقبل النقد الإسلامي المعاصر, والمراهنة على أحقيته في امتلاك الواقع النقدي العربي في المستقبل .

8 –تحديد الموقف النقدي الإسلامي من مفهوم النزعة الإنسانية ودور هذه الأخيرة في بناء النص النقدي والأدبي بعيدا عن المهيمنات في صعد متنوعة))[1].ونضيف إلى ذلك :

9 – تحديد الأبعاد الإسلامية لتطور حركة النقد الأدبي (المسؤولية – الجرأة النقدية – الجهد الجماعي) .

10 – تجنب اللعب النقدي (الناقد يشعر بالمسؤولية) .

11 – تصحيح العلاقة بين الأدب والعقيدة وذلك من خلال تحقيق الانسجام بين العقيدة والحس الأدبي , وحماية القيم الفنية والفكرية في الأدب (المثالية) والبحث عن الدور الايجابي للأدب .

12 – غربلة النصوص الهشة والوضيعة وبيان خوائها الفكري وانحرافها الأخلاقي .

تقويم المنهج الإسلامي في النقد :

تعرض النقد الإسلامي إلى جملة من الانتقادات قصد البناء فوجهت إليه منظومة من الأسئلة المنطقية تارة والتشكيكية تارة أخرى من قبيل :

هل نتحدث عن مؤسسة نقدية إسلامية أم عن دعوات لم تمتلك بعد إمكانية التطبيق ؟ ومن هم منظرو النقد الإسلامي؟ هل امتلكوا رصيدا عقديا ومعرفيا يمنحهم حق اللجوء إلى الأدب والنقد بدلا من سلطة الفقيه والوعظ ؟ كيف يتعامل هؤلاء النقاد مع المعقد المعرفي والفني السائد في العالم العربي والإسلامي ؟ لقد قام الدكتور محمد إقبال غروي بالنقد حين تأسف لظاهرتين تهيمنان على العقل المعرفي العربي تعتبر إحداهما نتيجة موضوعية للأخرى وهما : غياب الأسئلة النقدية العلمية التي تمس نواة العقل العربي الإسلامي وحضور الأسئلة الهامشية التي تعرقل خطوات ذلك العقل وللرؤية التي تروم ولوج بنية الأدب وتفكيك عناصره وفق منظور إسلامي))[2].وينتقد عروي أصحاب المنهج الإسلامي المعاصر لسكوتهم عن المناهج النقدية المنحرفة التي أخذت تغزو الساحة النقدية في العالم العربي ويتهمهم بالاهتمام بالتعميم دون التفصيل , ولم تحاول أن تخوض تجربة الأدب والنقد بالشكل المفصل عن طريق التجزئ

[1] نفس المرجع , ص30 .

[2] محمد إقبال عروي (مقال) : إستراتيجية النقد الإسلامي , مجلة المسلم المعاصر, ع 53, السنة 14, 1409 هـ – 1988 , ص91

والتبويب والتقسيم اللهم إلاّ بعض المحاولات المتناثرة التي تحتاج إلى النقد والتوجيه , كما يرى أن ضبط المصطلحات في حقل النقد الإسلامي تكاد تكون غائبة , وفي رأيه لا يمكن إن تحدث هذه القطيعة مع النقد الغربي على مستوى المنهج وان أمكن حدوثها على مستوى المذهب أن " نرد المذهب لكننا نستفيد من المنهج "))[1].

ويضيف إلى ذلك, فيرى أن النقاد الإسلاميين قد ركنوا إلى الوضعية الحاضرة التي تتحدث في الإنتاج الأدبي والنقدي وأصبحوا يستبعدون التجديد والتحديث خارجها .

وإذا كان محمد إقبال قد دعا إلى الانفتاح على المناهج الغربية , فان احمد رحماني يدعو النقاد الإسلاميين إلى العودة إلى القرآن الكريم ليبينوا ما إذا كان قد وردت فيه بعض الإشارات الواضحة التي ترسم ملامح المنهج الإسلامي وأسسه من اجل التأصيل من جهة , ومن اجل تمتين العلاقة بين المنهج النقدي والمرجعية من جهة ثانية , ويدعوهم إلى إن يستنبطوا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومن التراث العربي تلك الإشارات ذات الطابع العلمي ولا بأس بعد ذلك إن يعتمدوا على المناهج الغربية المعاصرة كما تتضح في النقد الغربي للاستفادة منها في الحدود التي لا تتعارض فيها مع التصور الإسلامي))[2], ويقترح رحماني الآية الكريمة الآتية ((ولا تقف ما ليس بك علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا))[3] ,على أساس أن القصد : الوحي والمشاهدة والعقل , والآية الكريمة من سورة الحجيقول تعالى ((ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير))[4], التي قال فيها سيد قطب : ((فهذه الكلمات القليلات تقيم منهجا كاملا للقلب والعقل , يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثا جدا , ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله))[5], يقترحهما ركيزة وأصلا من الأصول التي ينبني عليها منهج التفكير الإسلامي السليم , ومنه القاعدة الأساسية لمنهج النقد الأدبي الإسلامي, وخلاصة النقد والتقويم نطرحها فينا يلي :

إن معظم النقاد الإسلاميين يسعون إلى إقامة المنهج النقدي الإسلامي المتكامل الذي يجمع بين مختلف المعطيات والمعارف الإسلامية العربية والغربية القديمة منها والحديثة في ضوء ما يتوافق مع التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون , على أن يقوم النقد الإسلامي المعاصر على أساس من الثابت والمتغير, فالثابت هو " القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة " وهو عماد

[1] نفسه , ص 93-95

[2] أحمد رحماني : النقد الإسلامي المعاصر بين النظرية والتطبيق , مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات, الرياض , ط1, 1425 هـ/ 2004م ,ج 2/ ص629 .

[3] سورة الإسراء , الآية 76 .

[4] سورة الحج : الآية 08 .

[5] سيد قطب: في ظلال القرآن , دار الشرق , بيروت , ط12 , 1986 , ج4 /2227

المنهج الإسلامي في النقد والحصن الذي يمنع من الوقوع في الأفكار التضليلية المنحرفة , والمتغير هو تقنيات العمل الأدبي وتقنيات العلوم الأخرى , وهي معطيات وضعية أنتجها العقل البشري أو التجربة إلا أنها تساعد على التفسير والشرح والتحليل .

خاتمة البحث :

. لقد ناقش البحث أسس وآراء نقاد الأدب الإسلامي لقضية المنهج الإسلامي في الأدب, فهم يسعون إلى إقامة المنهج النقدي الإسلامي , خاصة ما أكده عما د الدين خليل والسيد قطب ونجيب الكيلاني ومحمد سالم سعدا لله وغيرهم ممن أسسوا لهذا المنهج , إذ يؤكد عماد الدين خليل على ضرورة وجود منهج للنقد الإسلامي- على الرغم ممن يعترضونه ويعترفون بقصوره لعدم امتلاكه إمكانية التطبيق – وذلك من خلال مجموع المعطيات الخمسة للأدب وهي : الإبداع ,الرؤية الجهد النقدي , الطريق , والنظرية , كما ذكر أصحاب المنهج الإسلام, والتأصيل لمنهج إسلامي بديل يعكس شخصية المسلم من خلال اعتماده على مرجعيات ثابتة والوعي بعدم ملائمة كثير من المناهج الغربية في التعامل مع التجربة الإسلامية المعاصرة ومعارضة التصورات والقيم التي تعبر عنها الفنون المنحرفة ,كما يقوم هذا المنهج على الشمول والمرجعية الدينية والالتزام والتفتح على التقنيات العلمية المساعدة وتجاوز الجزئيات الشكلية إلى جمال المضمون والربط بين العمل الفني وصاحبه فهو المنهج القادر على مواجهة مشكلات الفن ولا يهمل الموضوع لحساب الذات ولا الذات لحساب الموضوع ,و هكذا فهو يتمثل المنهج المتكامل الذي يضم تحت جناحيه كل الخصائص التي تؤهله ليكون المنهج المعتمد في الدراسات النقدية الإسلامية , وهذا بالطبع لن يتم إلا بعد جملة من الدراسات والأبحاث الجادة والموضوعية التي تخرجه من دائرة الاجتهاد الفردي إلى دائرة العمل الجماعي , حتى يصل إلى مرحلة التبني والتطبيق على الإبداع الأدبي شعره ونثره .

قائمة المراجع:

1. أحمد رحماني : النقد الإسلامي المعاصر بين النظرية والتطبيق , مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات , الرياض , ط1, 1425 هـ/ 2004م , 2/ 629 .
2. حسن الامراني : نحو ثقافة بانية , الخصائص , العدد(5 , 6) السنة 1989 , م :10 .
3. سعيد يقطين وفيصل دارج :آفاق نقد عربي معاصر, دار الفكر, دمشق ,ط1, 2003 .
4. سيد قطب : في ظلال القرآن , دار الشرق , بيروت , ط12 , 1986 , 4 /2227.
5. سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج, دار الشرق,بيروت,ط,6,1983.
6. طه عبد الرحمان : تجديد المنهج في تقويم التراث , المركز الثقافي العربي , المغرب , ط2 , دت .
7. عبد الباسط بدر(مقال) , نحو منهج نقدي إسلامي , مجلة الأمة عدد 47 , 1404 هـ – 1984.
8. علي الغزيوي :(مقال) نحو منهج إسلامي في النقد في صدر الإسلام ,مجلة المشكاة , عدد 5, 6, شوال 1406 هـ , 1986 .
9. علي حسين يوسف :النقد العربي المعاصر: دراسة في المنهج والإجراء ,عمان, الدار المنهجية ,ط1, 2015 .
10. عماد الدين خليل : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط1 , 1407 هـ.
11. عماد الدين خليل :في النقد الإسلامي المعاصر, مؤسسة الرسالة , ط3 , بيروت , 2005.
12. فيرنون هول : موجز تاريخ النقد الأدبي , ت مصطفى وعبد الرحيم جبر, دار النجاح ,دط , بيروت , 1971.
13. محمد إقبال غروي (مقال) : إستراتيجية النقد الإسلامي , مجلة المسلم المعاصر, ع 53 , السنة 14 , 1409 هـ – 1988 .
14. محمد سالم سعدا لله : أطياف النص , دراسات في النقد الإسلامي المعاصر, سلسلة النقد المعرفي 2 عالم الكتب الحديث , عمان , ط1 , 2007 .
15. نجيب الكيلاني : آفاق الأدب الإسلامي , مؤسسة الرسالة , ط1 , بيروت , 1405 هـ / 1985م ص65 .
16. نجيب الكيلاني :الإسلامية والمذاهب الأدبية , مؤسسة الرسالة , ط2 , 1981, لبنان .